ماذا بعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ولبنان؟

بقلم:

د. جيمس زغبي ○

إن ما يثير الحنق ويدعو إلى السخط أن نسمع صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وأماكن أخرى يشيرون إلى أن الضربات المدمرة التي وجهتها إسرائيل إلى حزب الله ولبنان قد خلقت «فرصة لوضع لبنان على مسار أفضل».

أولاً وقبل كل شيء، إن مثل هذا الكلام مرفوض وينم عن لامبالاة. فقد سقط حتى الآن آلاف القتلى، ودُمرت أجزاء كبيرة من العاصمة بيروت، وتشرد ربع شعب لبنان داخلياً من دون مأوى أو طعام أو خدمات كافية. ولا تزال حصيلة الضحايا والدمار العارم تتفاقم.

إن القول بأن الخير يمكن أن ينجم عن هذه المأساة الإنسانية الهائلة أمر مشين. فمثل هذا الرأي لا يهين الضحايا فحسب، بل يشبه أيضاً وضع «الرماد في أفواه» أولئك الذين فقدوا أحباءهم وهم في حالة حداد.

كما أن مثل هذه العقلية ساذجة بشكل خطير لأنها تتجاهل دروس التاريخ. ولنتذكر كيف قيل لنا، في خضم مواجهة كوابيس وكوارث مماثلة في عام ١٩٨٢ أو ٢٠٠٦، إنها تشكل أيضاً فرصاً لتغيير الواقع.

لقد لجأت إسرائيل خلال تلك الحروب التي شهدها لبنان إلى القوة المفرطة التي توقع الضحايا وتتسبب في الدمار العارم. وفي كل مناسبة، كانت إسرائيل تقول دائما إن «أعداءها سوف يُهزمون إيذانا بانبلاج يوم جديد». في النهاية، أدت كل تلك الحروب والمواجهات السابقة التي شهدها لبنان إلى خلق وضع غير مستقر مع ظهور عدو أكثر شراسة من الرماد الذي تركه الجيش الإسرائيلي وراءه.

إن جذور كل هذه الصراعات تنبع من مظالم تاريخية حقيقية ولدت بدورها من الظلم، وهو ما أدى إلى ظهور حركات المقاومة في منطقة الشرق الأوسط. وبدلاً من معالجة هذه المظالم وحلها، ارتأت إسرائيل أن القوة هي الحل المقبول الوحيد، ووجدت في ذلك كل الدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.

في الواقع، فإن هذا هو ما قاله الإسرائيليون ودعمهم في ذلك الأمريكيون «بمجرد أن نعاقبهم ونجبرهم على الخضوع، سيكون كل شيء على ما يرام». من الواضح أن هذا النهج لم ينجح من قبل، ولن ينجح حتما الآن.

وفي خضم وعمق هذه المظالم الصارخة يكمن الظلم التاريخي الذي تعرض له الشعب الفلسطيني. وقد وصفها الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون ببلاغة عندما أخبر مجموعة من القادة الفلسطينيين بأنه يعرف تاريخهم المتمثل في «تقطيع أوصالهم وتشريدهم وتشتتهم بين الدول والأمم».

أما بالنسبة للبنانيين، الذين أيدوا حزب الله وساروا في ركابه، فإن مظالمهم تشمل غضبهم الدائم إزاء الاحتلال الإسرائيلي العدائي الذي دام أكثر من عقدين من الزمن لجنوب لبنان، والذي أدى إلى نزوح عشرات الآلاف من اللبنانيين، وعدم المساواة التاريخية نتيجة لنظام الحكم الطائفي في البلاد.

لا شيء من هذا يعني أن المليشيات الفلسطينية أو حركة حزب الله الشيعية لم ترتكب أخطاء جسيمة أثناء تحركها لمعالجة المظالم الناجمة عن طبيعة دوائرها الانتخابية.

إن هذه الجهود الرامية إلى القضاء على هذه الجماعات بالعنف تنم عن قراءة قصيرة النظر، في أحسن الأحوال، وهي لا تمثل بأي حال من الأحوال أي حل للصراعات، لأنها لا تعالج مصدر المظالم وجذورها التاريخية في المقام الأول.

إن مثل هذه الرؤية والنظرة للأشياء تمثل وصفة لكارثة أخرى حقيقية. إن تجاهل المسؤولية التي تتحملها إسرائيل عن أفعالها التي خلقت الكثير من المآسي وتسببت في تفاقم الصراعات، ثم رفض الضغط على إسرائيل لتغيير سياساتها العدوانية لن يؤديا إلا إلى انتشار المظالم وتحولها إلى أشكال أكثر فتكا ومأساوية.

هذا هو ما نحن فيه اليوم. وفي محاولة للقضاء التام على أي مقاومة للاحتلال وضم فلسطين، ترتكب إسرائيل إبادة جماعية في غزة، مع ترهيب وترويع بقية السكان الفلسطينيين في جميع أنحاء الضفة الغربية المحتلة.

وفي الوقت نفسه، مع إطلاق حزب الله الصواريخ على إسرائيل لدعم بقاء «حليفه المقاوم» في فلسطين، حولت إسرائيل اهتمامها الآن نحو القضاء بشكل منهجي على قيادة حزب الله وكوادره.

وفي كل من لبنان وغزة، واصلت إسرائيل سعيها لتحقيق «النصر الكامل» من دون أي اعتبار للخسائر في صفوف المدنيين أو الأضرار التي لحقت بالمجتمع الأوسع وبنيته التحتية.

ونظرًا إلى أن إسرائيل تعتبر إيران الداعم الرئيسي لكل من حزب الله وحماس، فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك من خلال مهاجمة المواقع الإيرانية واغتيال حلفاء إيران في لبنان وسوريا وإيران نفسها، ما جعل الشرق الأوسط على شفا حرب إقليمية مدمرة.

ورغم أن الولايات الأمريكية المتحدة تبدي قلقها علنا بشأن المخاطر المترتبة على توسيع هذه الحرب، فإنها لم تفعل شيئا لكبح سلوك إسرائيل. لقد وضعت واشنطن كإدارة أمريكية خطوطا حمراء تستمر إسرائيل في تجاوزها؛ كما أعربنا عن قلقنا إزاء سقوط ضحايا من المدنيين وهو ما تتجاهله إسرائيل؛ وطرحنا مرارا وتكرارا مقترحات لوقف إطلاق النار، وهو ما ظلت ترفضه إسرائيل.

وفي الوقت نفسه تقوم الولايات الأمريكية المتحدة بإغراق إسرائيل بالأسلحة الفتاكة المتطورة والدعم الدبلوماسي غير المحدود، والنتيجة هي إفلات إسرائيل من العقاب، والمزيد من الضحايا العرب، وزيادة المعاناة، وإبعاد الشرق الأوسط عن معالجة المشاكل الكامنة وراء الصراعات. عندما ينتهي القتال وتضع الحروب أوزارها، ستكون المظالم أكبر.

إذا كان التاريخ مجرد مقدمة، فمن المرجح أن نرى في السنوات المقبلة ظهور النسخة الثانية من حركة حماس وحركة لبنانية مُعاد تشكيلها تعادي وتستهدف كلا من إسرائيل وأولئك الذين يشعرون بأنهم خانوهم؛ وسط بئر عميقة مليئة بالغضب والمرارة الموجهة نحو إسرائيل والولايات الأمريكية المتحدة؛ ومنطقة غير مستقرة أكثر مما كانت عليه من قبل – هي منطقة الشرق الأوسط.

حتما لن تولد أو تكون هناك أي فرصة من رحم هذه المأساة. في الواقع، هناك شيء واحد فقط يمكننا أن نكون متأكدين منه، وهو أن حرب إسرائيل في لبنان وغزة لن تنتهي على خير.

وبدلا من الأوهام الساذجة بشأن الفرص التي ستولد من رحم هذه الحروب، فإن الخطوة المنطقية الوحيدة للأمام هي إنهاء هذا الصراع الآن. ولكي يحدث ذلك، فإنه يجب على الولايات الأمريكية المتحدة، أن تتخذ موقفا حازما وتطلب من إسرائيل «التوقف»، ودعم ذلك من خلال تعليق شحنات الأسلحة.

عندها سوف نحتاج إلى معالجة الكلفة البشرية والعمل على تخفيف بعض المعاناة. وحينها فقط يصبح بوسعنا أن نبدأ في تقييم الخطوات التي يتعين علينا أن نتخذها للتعامل مع المظالم التي تكمن وراء هذه المأساة. هذه ليست فرصة، إنها مسؤولية.

○ رئيس المعهد العربي الأمريكي

عالم يتغير

طالما هناك احتلال هناك مقاومة!

فوزية رشيد

○ عبر تاريخ البشرية فإنه طالما هناك احتلال، فلا بدّ أن تكون هناك مقاومة! ذلك هو ناموس الشعوب وحركات التحرّر الوطني منذ فجر التاريخ! وفلسطين المُغتصبة والمحتلة ليست استثناء في ذلك الناموس الطبيعي، في ردّ الاحتلال والظلم والتعدّي على حقوق الشعوب! ومن يهدر قيمة المقاومة، أية مقاومة، فإنه يهدر في ذات الوقت قيمة الحق الإنساني في الدفاع عن أرضه وعرضه وكرامته وإنسانيته! وحيث لا بديل طالما هناك احتلال!، وفي فلسطين هذا الاحتلال مستمر منذ ما يقارب الـ٨٠ عامًا، ويعتمد على مروياته وأساطيره وتطرّفه وعنصريته، ولم ينفع معه استعادة الحقوق لا بالسلم ولا بالاتفاقيات ولا بالمفاوضات!، ولذلك لم يبق للشعب الفلسطيني طريقًا آخر غير المقاومة الشعبية!

وهو يدرك أنه لكي يقاوم هكذا احتلال، لا بدّ أن يقدّم التضحية والضحايا، والتي تحولت إلى ثمن باهظ في ظل إصدار المحتلّ المدجج بالعتاد والسلاح والدعم الغربي وعدم توازن القوى، على إبادة الشعب الفلسطيني، كما لم يفعل أي محتلّ!

○ هذا الشعب المقاوم، والذي يبحث طوال القرن الماضي والقرن الحالي عن قيادات تقود مقاومته ضدّ من سرق وطنه، لا يهمه الأيديولوجيا التي يعتنقها هؤلاء القادة، سواء كانت دينية أو يسارية أو علمانية، إنما يهمه من يقاوم هذا الاحتلال، فالوطنية والمقاومة بالنسبة إليه لا تقاس بنوع الأيديولوجيات كوسائل، إنما بالتضحيات على أرض الواقع وعلى أرض الوطن، دفاعًا عنه، وبمحك الأفعال في مواجهة احتلال ليس كأي احتلال حرّ على الشعوب!

○ هناك من يأخذ على الشعب الفلسطيني خاصة في غزة، انسياقه وراء «الإسلام السياسي» وتقبله الدعم الإيراني، ولكن هذا البعض سيأخذ أيضًا على الشعب الفلسطيني تشبثه بروح المقاومة، حتى لو كانت يسارية أو علمانية على سبيل المثال، ولذلك هو يريد أن يتخلى هذا الشعب عن روح مقاومته أصلا، وأن يقبل بالمقاومة فقط عبر المفاوضات وحدها، وهذا ما حدث طوال عقود منذ اتفاقيات «أوسلو» ولم تأت بأية نتيجة! فإذا بعض آخر يأخذ في هذا السياق وعلى السلطة أنها مستسلمة ومهادنة للعدو الصهيوني الشرس في الاستيطان، وتهويد كامل الأرض الفلسطينية في غزة، وعدم اتخاذ موقف من ممارساته في الإبادة وجرائم الحرب ضد شعبه، بل وتعاونه الأمني مع دولة الاحتلال! إذًا أين يكمن الحل؟! وكيف يتم إنهاء الاحتلال واستعادة الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة في أرضه وفي السيادة عليها؟!

○ دولة الاحتلال لا تريد نجاح أية مفاوضات، ولا تريد دولة فلسطينية ولا تريد أيضا أية مقاومة لاحتلاله! وبعيدًا عن كل قيادات المقاومة الذين تم ويتم اغتيالهم منذ القرن الماضي، وآخرهم «يحيى السنوار» الذي استشهد مؤخرًا وهو يقاوم ويقاتل حسب سردية الجيش الصهيوني نفسه، فإن تلك الاغتيالات يرافقها خطة التهجير والإبادة!، بل توسيع رقعة الحرب إلى دول أخرى في الجغرافيا العربية! هكذا تبقى فلسطين والمنطقة، في لعبة الحرب واللاسلم، ولعبة لا مفاوضات مجدية، وإبادة أية مقاومة!

○ السردية الصهيونية ومن يتبعها، تتذرّع بأن الإبادة والحرب الشرسة على غزة والضفة هي بسبب «حماس» وأنها «إخوانية» وتابعة لإيران، رغم الاختلاف البين بين حقيقة المقاومة الفلسطينية، وبقية الأذرع الإيرانية المنتشرة في أكثر من دولة، وهو الاختلال بين مقاومة الوجود، وحروب إيران بالوكالة من أجل النفوذ!

ولذلك فلنفترض أن مقاومة فلسطين كانت ذات توجّه أيديولوجي آخر حاليًا، كأن تكون وطنية من دون أية أيديولوجية وبدعم عربي وإسلامي، فهل كان التعامل الصهيوني معها سيختلف؟! أم أن ذات البطش والهمجية سيتّم التعامل بهما لمجرد أنها تقاوم الاحتلال؟! الجواب للتأمل!

○ حركات التحرر الوطني عادة تحتضن كل من يريد مقاومة المحتل بصدق وإخلاص، ويقدم التضحيات، بغض النظر عن الأيديولوجية التي يتحرك على أساسها! غالبية الشعوب العربية ليست مع «الإخوان» أو «الإسلام السياسي» حاليا، ولكن في فلسطين، فإن هؤلاء هم من يقاومون على الأرض وهذا هو الأمر الواقع، ويختلفون حتى عن قادتهم السياسيين في الخارج أحيانًا، ويملأون فراغ قيادات تقاوم الاحتلال، بعد أن جربت لأكثر من ٣٠ عامًا المفاوضات فوجدتها غير مجدية ولا توصل إلى أي طريق لإنهاء هذا الاحتلال! وهنا تكمن الأزمة الفلسطينية في ظل عدم وحدة القرار الوطني، وعدم توحّد رؤى صفوف القيادات الفلسطينية، ذات التوجهات المختلفة، وتذبذبها بين المقاومة والاستسلام!

○ اعتاد الاحتلال الصهيوني أن يقتل كل رمز وكل قيادة، بغض النظر عن الأيديولوجيا أو التوجّه السياسي التي يحملها! قتلت قادة وأتباعا من الإسلاميين، كما قتلت قيادات ورموزا من اليسار ومن العلمانيين ومن القوميين! وهنا تتضح صورة ما نريد قوله وهو أن العدو الصهيوني يقتل كل مقاومة، ويقتل رمزها وقيادتها لمجرد أنها تقاوم! وهو غير معني بالأيديولوجيا أو التوجه السياسي أو العقدي لتلك المقاومة أو رموزها أو من يدعمه! ألم تقتل «ياسر عرفات» وهو من السلطة؟!

والسبب أن الكيان الصهيوني كما قلنا مرارًا، هو (قاعدة وظيفية واستعمارية غربية متقدمة في المنطقة العربية!) وشغلها الأساس ضمان عدم استقرار المنطقة، وإضعاف دولها وقتل روح أية مقاومة فيها! ولذلك هو يمارس الاستشراس بدعم غربي مطلق، ويمارس الإبادة ضد المدنيين والأطفال والنساء والمرضى، ويقع على عاتقه وزر كل أولئك الضحايا لأنه يريد فناء هذا الشعب داخل أرضه ووطنه! وغريب أن يضع البعض وزر كل ذلك على المقاومين، رغم أن مقاومتهم مشروعة كحق دولي وأممي، ويقولون إن المقاومة هي سبب بلاء الشعب الفلسطيني، متجاهلين أنها مقاومة شعبية والمقاومون من أصل هذا الشعب أيا كان توجهم وهو الشعب الذي يقاوم منذ بدأ اغتصاب فلسطين، وليس منذ بدأت «حماس» تتصدر مقاومته! وطالما هناك احتلال سيكون هناك مقاومة، أيًا كان من يقودها!

أهمية المساحات الخضراء في العلاج السريع لأمراض الإنسان

بقلم:

د. إسماعيل محمد المدني

هناك الكثير من الناس الذين ينتظرون موسم التخييم في الصحراء بفارغ الصبر للتمتع بجمال الصحراء وفطرتها السليمة العذراء، وحياتها الفطرية من نباتات وأعشاب صحراوية وحيوانات برية، إضافة إلى صفاء ظلمة الليل ومشاهدة الأجرام والكواكب السماوية، ونقاوة الهواء الجوي وهدوئه وسكينته بعيداً عن ضوضاء المدن وإزعاجها، وفساد هوائها، وتشبعها بمختلف أنواع المواد الكيميائية السامة والخطرة المسببة للأمراض والعلل الجسدية والعقلية والنفسية للإنسان.

وهناك من يحب قضاء أوقات الفراغ والإجازات برفقة ومصاحبة البحر، من المشي وممارسة الرياضة على سواحله الخلابة، والسباحة والغوص للتمتع بمنظر عالم آخر تحت سطح البحر، وأنواع جديدة فريدة من نوعها من الحياة الفطرية والمخلوقات العجيبة الموجودة في قاع البحر، وهي تسبح بحمد الله وعظمته، وتعيش كلها مع بعض في نظام بيئي متناسق ومتكامل.

ومن الناس من يهوى المتنزهات والحدائق والغابات الكثيفة، فيمشي تحت ظلها الوافر، ويستنشق هواءها النقي الصافي المُعين على الحياة، والمجدد والمحيي للروح والنفس والبدن، ويتفكر في مخلوقات الله من أشجار باسقة، ونباتات وحشائش واقفة على سطح الأرض، ويشاهد في الوقت نفسه تنوع الأحياء البرية، وخاصة من أنواع الطيور الزاهية والمغنية التي تُلقي في النفس راحة وطمأنينة عجيبة لا مثيل لها.

وكل هذه البيئات، من صحراء، وبحار، وغابات تقع ضمن «الطبيعة»، أي التي خلقها الله سبحانه وتعالى ونوَّع في كائناتها النباتية والحيوانية الفطرية الغريبة، وأودع فيها كل مقومات الراحة النفسية والبدنية والعقلية التي يحتاج إليها الإنسان بين الحين والآخر لينفض عن قلبه ونفسه الغبار المتراكم والسميك من العيش في المدن الصاخبة المزعجة المليئة بالسيارات، وبضوضائها وأصواتها العالية وتلويثها وإفسادها لجودة الهواء الجوي، علاوة على أصوات الآلات والطائرات والمحركات الأخرى المزعجة التي تجعل القلب يصدأ، والنفس تموت، والعقل يقف عن العمل والإنتاج، والجسد يمرض ويسقط صريعا.

فهذه البيئات الطبيعية البِكر ودورها في إحداث تحويلات إيجابية في نفس الإنسان، استقطبت اهتمام العلماء والباحثين في علم النفس والاجتماع، إضافة إلى الأطباء بمختلف تخصصاتهم واهتماماتهم، وجعلتهم يَلجون في مجال بحثي يدرس من النَاحيتين النوعية والكمية العلاقة بين العيش مع الطبيعة، وفي ظل الطبيعة وبالقرب منها ومن بيئات نظيفة ونقية وصافية خالية من الشوائب والملوثات، مع الحالة الصحية للإنسان، نفسياً، وعضوياً، وعقلياً. كما دخل العلماء في كيفية استغلال الطبيعة كأداة للعلاج لبعض الأمراض التي يعاني منها البشر، وكوصفة طبية، ودواء مجاني يُكتب لمواجهة أنواع محددة من الأسقام النفسية والعقلية التي تصيب الناس.

وهناك دراسة شاملة أجريت على ملايين البشر حول علاقة العيش بالقرب من محيط البيئات الطبيعية والقيام بزيارتها بين الحين والآخر والأمراض العقلية لهؤلاء البشر، وهذه الدراسة نُشرت في أكتوبر ٢٠٢٣ في مجلة دولية مرموقة هي «اللانست: صحة الكوكب» (The Lancet) (Planetary Health) وعنوانها: «الخضرة المحيطة، والوصول إلى المساحات الخضراء المحلية، والصحة العقلية الناجمة عنها: دراسة جماعية ديناميكية طولية مدتها ١٠ سنوات شملت ٢-٣ ملايين بالغ في ويلز». فقد قام البحث بتحليل تأثيرات السكن بالقرب من البيئات الطبيعية وزيارة هذه البيئات كالمتنزهات، والغابات، والمسطحات المائية على الصحة العقلية مع الزمن للساكنين في مقاطعة ويلز البريطانية. وقد توصلت الدراسة إلى استنتاج عام بأن العيش في بيئة خضراء، أو في محيط بيئات طبيعية يقلل من مخاطر الإصابة بمشكلات وأمراض الصحة العقلية، أي أن هناك علاقة بين التمتع بالطبيعة والتجول في رحابها وتعزيز سلامة الصحة العقلية، فكلما زاد الإنسان قُرباً من هذه البيئات، وزاد تردده عليها، قل أكثر احتمال التعرض للأمراض العقلية. فمثل هذه البيئات، بحسب الدراسة العلمية، تخفض من الضغط والتوتر النفسي الذي يتعرض له الإنسان في البيئات الحضرية الصاخبة والملوثة، كما هي تريح البال وتنقي الناس، وتنسي الإنسان وتزيل عنه همومه ومشاكله اليومية، وعلاوة على ذلك، فإنها ترفع من مستوى ودرجة التوتر تنخفض، وينصب الاهتمام على التمتع بالطبيعية والعيش بعض الوقت في راحة وطمأنينة لا تُمثل ارهاقاً نفسياً للفكر والعقل، مما ينعش الجسد والروح والنفس ويعيد حيويتها ونشاطها. كذلك فإن مثل هذه الممارسات الدورية مع البيئات الطبيعية تُعدل وتغير مزاج الإنسان، وتُبعد عنه أعراض الاكتئاب والقلق، وهي في الوقت نفسه تقي الإنسان وتحميه من السقوط في شباك التوتر النفسي مستقبلاً، فهي إذن أداة وقاية وعلاج من الأمراض في آنٍ واحد، أي أنها تضرب عصفورين بحجرٍ واحد.

وعلاوة على ما سبق، فالدراسة المنشورة في ١١ يونيو ٢٠٢٤ في مجلة (communications earth & environment)تحت عنوان: «الصحة العقلية لها علاقة إيجابية بالتنوع الحيوي في المدن الكندية»، فهي تُدعم وتؤكد استنتاجات الأبحاث السابقة. فهذه الدراسة قامت بسبر غور العلاقة بين ثراء وغنى التنوع الحيوي من طيور وأشجار مختلفة ومؤشرات الصحة العقلية في ٣٦ مدينة كندية في الفترة من ٢٠٠٧ إلى ٢٠٢٢. وقد خلصت الدراسة إلى أن هذا التنوع في الأحياء الحيوانية من طيور وغيرها، والنباتية من أشجار وشجيرات ينعكس ايجاباً على الصحة العقلية للساكنين في هذه المناطق، وهذا بدوره ينعكس على ميزانية الدولة في كندا المُخصصة لعلاج أمراض الصحة العقلية والتي تكلف قرابة ٥٠ بليون دولار سنوياً، فهناك ١ من كل ٥ كنديين يعانون من أعراض وأمراض الصحة النفسية والعقلية، أو نحو ٨,٩ ملايين كندي، إضافة إلى ارتفاع نسبة الوفيات من هذه الأمراض كالانتحار.

ولذلك علاوة على الفوائد الصحية التي يكتسبها الإنسان نفسه وقاية وعلاجاً من قضاء أوقات من اليوم، أو من الشهر في بيئات طبيعية عذراء وغنية بالتنوع الحيوي، فإن الدولة نفسها تُخفض من نسبة انفاقها على علاج صحة وسلامة الشعب من الناحيتين العضوية والنفسية العقلية، مما يؤكد تخصيص وتوفير مثل هذه البيئات الطبيعية بمختلف أنواعها للمواطنين والعمل على تأهيلها وتطويرها والاهتمام بها.

ismail.almadany@gmail.com

خطة الجنرالات الصهاينة لشمال قطاع غزة

بقلم:

رامي رشيد ○

تعود بي الذاكرة إلى يوم ٨ ديسمبر ١٩٨٧م، يوم اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى، الفعل الإنساني الأنبل في تاريخ الشعوب التواقة للحرية والعدالة، وكانت شرارة الانتفاضة الأولى انطلقت من قطاع غزة الباسل، خزان الوطنية الفلسطينية، الشرارة انطلقت بالتحديد من شمال القطاع، من «جباليا» حين دهس مستوطن صهيوني عمدًا بشاحنته الضخمة سيارة عمال فلسطينيين من سكان «جباليا» عائدين من عملهم يتزودون بالوقود من محطة الوقود ليقتل أربعة منهم على الفور، لتشتعل المظاهرات في «جباليا» وتبدأ الصدامات مع معسكر الجيش والأهالي يشيعون الشهداء في جنازة مهيبة، مما اضطر الجيش الصهيوني لطلب تعزيزات وقام بإطلاق الرصاص الحي على المشيعين، وفي لمح البصر تشتعل الأرض المحتلة من «رفح» أقصى جنوب القطاع إلى «جنين» أقصى شمال الضفة الغربية المحتلة بالمظاهرات والإضرابات التي استمرت حتى عام ١٩٩٣م.

في سبتمبر ٢٠٢٤م وضعت «خطة الجنرالات» التي اقترحها قديمًا الجنرال السابق في الجيش الصهيوني «غيورا آيلاند»، والتي تهدف إلى تهجير سكان شمال قطاع غزة قسرا، بفرض حصار كامل شامل على المنطقة ومنع دخول المساعدات الغذائية الإغاثية بغرض تجويع وتعطيش ما تبقى من الأهالي العرب الفلسطينيين ووضعهم أمام خيار الموت أو الاستسلام إن لم يرحلوا!

ويعتقد الجنرالات الصهاينة أن الحصار هو أنجع الحلول لإنهاء الحرب وتقليل عدد القتلى من الجنود وتحويل شمال قطاع غزة إلى منطقة عسكرية مغلقة، لا بل يذهب غلاة الصهاينة في حكومة الصهيونية الدينية المتطرفة إلى ضم شمال القطاع لدولة الكيان الغاصب، ويدعون إلى إقامة مستوطنات أيضًا!

وتنفيذًا للخطة صدرت ٦ أوامر عسكرية (إشعارات) بالإخلاء لسكان «جباليا» و«بيت حانون» و«بيت لاهيا» ومناطق في «مدينة غزة» منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٤م وحتى الآن، ومركز الاستهداف هو «مخيم جباليا» بحجة عدم تكرار ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م وإزالة ما يسمى بالتهديد الوجودي!

نحن أمام حرب إبادة جماعية مكثفة تجري بوتيرة سريعة في شمال قطاعنا الباسل استجابة لتصريحات الجنرال «تشارلز براون» رئيس هيئة الأركان الأمريكية الذي انتقد أداء الجيش الصهيوني باجتياحه المناطق ثم الانسحاب منها ومطالبته لهم بالاجتياح والتطهير والبقاء وعدم المغادرة، وهو صاحب مقولة أن التوصل إلى حسم سريع للقتال في غزة قد يساعد في تقليص انضمام المدنيين الفلسطينيين إلى صفوف المسلحين!

ولن ننخدع كثيرًا برسالة وزيري الخارجية والدفاع الأمريكيين «أنتوني بلينكن» و«لويد أوستن» إلى وزيري الدفاع والشؤون الاستراتيجية الصهيونيين «جالانت» و«رون ديرمر» في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٤م، طالبا فيها حكومة «نتنياهو» بتحسين الظروف الإنسانية في غزة خلال ٣٠ يومًا أو المخاطرة بتأثر إمدادات الأسلحة الأمريكية!

واللافت أن الرسالة تزامنت مع وصول المنظومة الصاروخية الأمريكية «ثاد» لدولة الاحتلال والعدوان والأبارثهايد الصهيونية مع جنود أمريكيين، وتزامنت المهلة مع موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية في ٥ نوفمبر ٢٠٢٤ م، ربما لعدم خسارة أصوات العرب والمسلمين الأمريكيين والتي ستكون لها تأثير في من سيكسب الانتخابات الرئاسية، علمًا أن العرب والمسلمين الأمريكيين قرروا عبر منظماتهم و جمعياتهم عدم التصويت لكلا المرشحين لانحيازهما الأعمى لدولة الاحتلال، ولكنها محاولة من الديمقراطيين لاستمالتهم في اللحظات الأخيرة من السباق لعل وعسى!

أعلنا ومن خبرة طويلة في السياسة الأمريكية أن الإدارة الأمريكية لا تضع على الطاولة للشعب العربي الفلسطيني سوى التصفية ولا يوجد في قاموس الإدارات الأمريكية المتعاقبة من ديمقراطيين وجمهوريين مفهوم التسوية والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني، فهم يعلمون أن ما يجري في غزة هي حرب إبادة جماعية تمارس بها كل صنوف الوحشية والهمجية، هناك حرق للبشر وهم أحياء وقطع للرؤوس وبتر للأطراف جراء الصواريخ والقنابل الأمريكية المصنوعة خصيصًا لقتل أكبر عدد من الفلسطينيين العرب!

الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ أن ورثت الاستعمار القديم وهي في حرب مباشرة مع الشعب العربي الفلسطيني كما هي دول الاستعمار القديم بريطانيا وفرنسا ولن نتوقع منهم سوى الخداع والمراوغة وبعض الانتقادات اللفظية لدولة الكيان الغاصب مع فتح مخازن الأسلحة المتطورة الفتاكة لهم، ومناشدات لدولة الإبادة الجماعية بتسهيل إيصال المساعدات الإنسانية الإغاثية للعرب الفلسطينيين، وربما سأل طفل عربي فلسطيني ما الذي حل بالميناء الأمريكي العائم؟

انطلقت الانتفاضة الأولى من «جباليا» ومن «جباليا» ستكسر «خطة الجنرالات» الذين لا يعرفون سوى القتل والتدمير للحياة الإنسانية، وننصحهم بقراءة تاريخ الشعوب، فالشعوب في النهاية تنتصر على جلاديها حتى ولو كان الأمريكان بظهورهم!

○ كاتب فلسطيني مقيم في مملكة البحرين